فى الحديث المحمدى

للاستاذ محمود أبو رية

نفر الصحابة بعضهم بعضا :

لم يقف الأمر بالصحابة عند تشديدهم فى قبول الأخبار — كما بينا ذلك من قبل ، ولكن تجاوزه إلى أن ينقد بعضهم بعضا

وقد كان عمر وعثمان وعلى وعائشة وابن عباس وغيرهم من الصحابة يتصفحون على إخوانهم فى الصحبة ، ويشكون فى بعض ما يروون عن النبى ، ويردونه على أصحابه ، وإليك بعض أمثلة من ذلك نجتزئ بها خشية التطويل

عن محمود بن الربيع — وكان ممن عقل عن رسول الله وهو صغير أنه سمع عتبان بن مالك الأنصارى ، وكان ممن شهد بدرا ، أن رسول الله قال : إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله — وكان رسول الله فى دار عتبان فحدثها قوماً فيهم أبو أيوب صاحب رسول الله فى غزوته التى توفى فيها بأرض الروم ، فأنكرها على أبو أيوب وقال : والله ما أظن رسول الله قد قال ما قلت !

وقد استدلت المرجئة (١) بهذا الحديث ونحوه على مذهبهم

وقال الشاطبى فى الموافقات : إن عائشة ردت حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وحديث رؤية النبى لربه ليلة الإسراء.. وروت هى وابن عباس حديث أبى هريرة: إنما الشؤم فى ثلاث » (٢)

أما حديث عذاب الميت فقد رواه الشيخان وغيرهما وفيه أنه ذكر عند عائشة (٣) أن ابن عمر رفع إلى النبى أنه قال « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » فقالت : وهل إنما قال رسول الله إنه ليعذب بخطئه وذنبه وإن أهله ليبكون عليه، وفى رواية «والله ما حدث رسول الله أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وفى رواية إنك لتخبرنى عن غير كاذب ولا متهم ، ولكن السمع يخطئ وفى القرآن ما يكفيكم « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقالت عائشة مثل قوله (أى حديث ابن عمر) أن رسول الله قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال إنهم ليسمعون ما أقول ! إنما قال « إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت « إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور »

وأما حديث رؤية النبى ربه ليلة الإسراء فقد رواه البخارى ومسلم عن عامر بن مسروق . قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمتاه : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؛ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب. ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير — وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ؛ ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب، ثم قرأت «وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً»؛ ومن حدثك أنه قد كتم شيأ فقد كذب، ثم قرأت «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »

وفى رواية مسلم قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت ألم يقل الله ، ولقد رآه نزلة أخرى ؟ فقالت أنا أول من سأل رسول الله عن هذا ، فقلت يا رسول الله : هل رأيت ربك ؟ فقال . « لا . إنما رأيت جبريل منهبطا » وفى رواية أخرى عن مسلم قال : نور أنى أراه ! ولأحمد : رأيت نورا (٤)

وقد رجح القرطبى فى المفهم — قول الوقف فى هذه المسألة ! وعزاه لجماعة من المحققين . وقال ابن حجر فى فتح البارى : وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى »

ومما رووه عائشة خبر ابن عمر وأبى هريرة « إنما الشؤم فى ثلاث فقالت : إنما كان يحدث عن أحوال الجاهلية، وذلك لمعارضة

---

(١) المرجئة فرقة من كبار الفرق الإسلامية : تقول لايضر مع الإيمان معصية ، ولا ينفع مع الكفر طاعة (٢) ص ١٩ ج ٣

(٣) قال الاسماعيلى : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والنفوس على غوامض العلم ما لا مزيد عليه

(٤) بلغت أحاديث الرؤية — كما ذكر ابن القيم فى حادى الأرواح ثلاثين حديثا ، والمرفوع منها أكثر من عشرين حديثا ...

هذا للأصل القطعي « إن الأمر كله لله »

ولما سمعت أن ابن عمر قال : اعتمر رسول الله عمرة في رجب قضت عليه بالسهو . وقالت عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري « ما علم أنس بن مالك وأبو سعيد بحديث رسول الله . وإنما كانا غلامين صغيرين

وقال طاووس : كنت جالساً عند ابن عمر فأتاه رجل فقال إن أبا هريرة يقول : إن الوتر ليس بحتم فخذوا منه ودعوا . فقال ابن عمر « كذب أبو هريرة »

وقيل لعروة بن الزبير : إن ابن العباس يقول : إن رسول الله لبث بمكة بعد أن بعث ١٣ سنة. فقال كذب ! إنما أخذه من قول الشاعر : (٥)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وعن الحسن بن علي ، أنه سئل عن قول الله « وشاهد ومشهود » فأجاب فيها فقيل له : إن ابن عمر وابن الزبير قالا كذا وكذا خلاف قوله .. فقال كذبا

وكذب علي بن أبي طالب المغيرة بن شعبة.. وقيل لعائشة إن أبا الدرداء قال : « من أدرك الصبح فلا وتر عليه . قالت لا ، كذب أبو الدرداء .. كان النبي (ص) يصبح فيوتر

وذكر لها أن ابن عمرو بن العاص يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن . فقالت يا عجبا لابن عمرو ! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن ! أفلا يأمرهن أن يحالقن رءوسهن ! لقد اغتسلت أنا ورسول الله من إناء واحد ما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات

وعن عبادة بن الصامت أنه قال : كذب أبو محمد ! يعني في وجوب الوتر . وأبو محمد هذا اسمه مسعود بن أوس الأنصاري ، بدري . وتكذيب عبادة له من رواية مالك وغيره في قصة الوتر ، واستشهد عبادة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » (٦)

وكانت عائشة وهي كما وصفوها على جانب عظيم من الذكاء والفهم وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ، ترد كل ما روى مخالفا للقرآن ، وتحمل رواية الصادق من الصحابة على خطأ السمع أو سوء الفهم

ولقد جمع الإمام الزركشي (٧) كتابا برأسه فيما استدركته عائشة على الصحابة سماه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) فليرجع إليه من يريد أن يتسع في الاطلاع على هذا النقد

وقد نقل الدكتور أحمد أمين بك هذه الكلمة في كتابه ضحى الإسلام من رسالة لبعض الزيدية تلاميذ المعتزلة :

« إننا رأينا الصحابة ينقد بعضهم بعضا ، بل ويلعن بعضهم بعضا ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها ، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا (٨) ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي . وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف ، وكالذي روى عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة ، وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ » قالوا : « وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في الصحابة منهم هذا القول ، وإنما اتخذهم أربابا بعد ذلك . والصحابة قوم من الناس ، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفشى من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الإعلام والمعجزات ، فعاصينا أخف لأننا أعذر » (٩)

وسنكسر فصلا على عدالة الصحابة إن شاء الله

النصورة — البحث صلة — محمود أبو ريه

---

(٥) هو أبو قيس حرملة بن أنس الأنصاري ويقال ابن أبي أنس

(٦) ص ١٥ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله. وفي هذا الجزء أخبار هذه ٣٦ ، ٤٢

(٧) هو بدر الدين الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (٨) وفي كل دهر عوام ! ٩١١) ص ٧٥ و ٧٦ ج ٣